التعليم في تونس ١٨٣٧-١٨٨١

أ. م. د. رابحة محمد خضير عيسى
جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

شهد التعليم في تونس عنايةً كبيرةً من باياتها ولاسيما أحمد باي ومحمد الصادق باي وبإشراف أكبر مصلحيها خير الدين باشا التونسي الذي أدرك حاجة تونس إلى العناية بالجانب التعليمي وبالأخص بعد التراجع الذي أصابها مقارنةً بالتفوق الأوربي آنذاك، فكان لابدَّ من ضرورة النهوض بالمؤسسات التعليمية وإصلاح هياكلها القديمة مع اكتساب معارف علمية جديدة متطورة والحفاظ على موروثها الديني والحضاري. وقد نجحت تلك الخطوات الإصلاحية فكان ثمرة تلك العناية تخريج شخصيات ورجالات انتفعت بهم تونس على مرَّ تاريخها الحديث والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: الإرساليات، مدرسة، باردو، إصلاحات جامع الزيتونة، التعليم، تونس.

Education in Tunisia 1837-1881

Rabha Mohammed Khudhayer Esa
University of Mosul- College of Arts
rabeha.m.k@uomosul.edu.iq

Abstract

Education on Tunisia witnessed a great attention from the notable persons especially Ahmed Bai and Mohammed AlSadiq Bai with the supervision of the greatest reformer Khair AlDeen AlTunisi, who realized the necessity to pay a good attention to the education aspect in Tunisia especially after the retrogression it passed through compared to the European superiority at that time. Therefore, it was essential to promote the educational institutions and reforming their old structures in addition to acquiring new developed scientific knowledge and, at the same time, preserving the religious and cultural heritage. These steps were successful and the fruit of that prudence was the graduation of characters and men who granted benefits to Tunisia throughout its modern and contemporary history.

Keywords: Missionaries, School, Pardeau, Reforms of AlZaytoona Mosque, education, Tunisia.

المقدمة:

يعدّ التعليم من الجوانب المهمة في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات كافةً في كلّ الأزمنة فهو الركن الأساس في البناء الحضاري والنهوض الثقافي لأيّ مجتمعٍ، ولاسيما حين تتوافر له الإمكانيات اللازمة للعمل على تطويره والنهوض به بما يتلاءم وحاجة المواطنين. لذا حينما شهدت البلاد التونسية نهضةً إصلاحيةً في القرن التاسع عشر ، كان الجانب التعليمي واحدًا من أهم المجالات التي نالت عنايةً كبيرةً من باياتها ومفكريها والذي برز بشكلٍ كبيرٍ في عهد أحمد باي ومحمد الصادق باي وبإشراف المصلح الكبير خير الدين باشا التونسي الذي أولى الجانب التعليمي عنايةً واضحةً وكبيرةً، ولاسيما بعد زيارة أحمد باي إلى فرنسا يرافقه كلّ من خيري الدين باشا والمؤرخ أحمد بن أبي الضياف الذين أدركوا أنْ لا نهضة ولا تقدم في بلادهم في ظلّ التراجع الذي أصاب العرب بشكلٍ عامّ وتونس بشكلٍ خاصّ إلا بالنهوض بالمؤسسات التعليمية وإصلاح برامجها القديمة، وكانت الغاية الأساسية من ذلك ترسيخ وتثبيت العقيدة الإسلامية ومبادئها في المجتمع التونسي، والحفاظ على موروثها الحضاري، ثم اكتساب علوم ومعارف جديدة متطورة تضاف إليها، وقد ركزنا على أشهر المؤسسات التعليمية في تونس ضمن مدة البحث ١٨٣٧-١٨٨١ ؛ لتوضيح دور الإصلاح في تلك المؤسسات.

وقد نجحت تلك الخطوات في إجراء إصلاحاتٍ واضحةٍ على جامع الزيتونة أولا، والسماح بافتتاح مدارس للجاليات الأجنبية، ومدارس حكومية ذات نمطٍ عسكري وأخرى مدنية، بعضها ظلّ قائمًا لسنواتٍ طويلةٍ. كان ثمرة تلك العناية تخريج شخصياتٍ فكريةٍ نهضويةٍ انتفعت بهم تونس على مرّ تاريخها الحديث والمعاصر.

التمهيد

على الرغم من السبات الذي عاشه العالم الإسلامي قرونًا طويلةً، إلا أنَّ القرن التاسع عشر يعدّ نقطة تحولٍ مهمةٍ في تأريخه، حينما شعر بتأخره أمام النهضة الأوربية الحديثة[١]. فكانت تونس واحدةً من الولايات العربية التي وجدت ضرورة التغيير[٢]، بعد بروز النهضة الفكرية في مصر على يد محمد علي باشا (١٨٠٥ –١٨٤٨) الذي أعلن استقلاله عن الدولة العثمانية التي اصابها الضعف والتراجع أمام النهضة الأوربية، فوجد رجالات النهضة ضرورة الخروج من الضعف والتأخير الذي أصاب العالم الإسلامي، فظهرت حركاتٌ إصلاحيةٌ في بعض مناطق نفوذ الدولة العثمانية[٣].

وعلى الرغم من أنَّ الحركات الإصلاحية لم تكن جذريةً وشاملةً واقتصرت على دولٍ قليلةٍ وفي مدةٍ معينةٍ، إلا أنَّها لم تغيّر من الأنظمة الحاكمة، ولم تنقذ العالم الإسلامي من التبعية للدول الأوربية ولم تستطع الوقوف بوجه التهديدات الاستعمارية الأوربية، ومع ذلك كله فقد تركت أثرًا إيجابيًا في الدول التي ظهرت فيها[٤]. ففي تونس شعر سكانها بانتمائهم للأمة الإسلامية الذي امتزج فيه شعور الانتماء للأرض التونسية وجعلته يقف بوجه أيّ أجنبي يريد المساس بأرضه[٥]. ولاسيما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ الذي أظهر عمق الفجوة بين العرب المسلمين والغرب. لذا دعت النخبة الفكرية الزيتونية في تونس إلى ضرورة النهوض بالبلاد والوقوف بوجه الغرب، وذلك بالنهوض بالتعليم، ليكون طريقًا لتطوير الشعب التونسي وتوجيهه نحو التقدم[٦].

وقد تركز التعليم في تونس في تلك الحقبة على التعليم الديني والقليل من المدارس التي جرى فتحها في عهد بعض سلاطين الأسر الحاكمة، فضلاً عن أنَّه وجُدت عددٌ من المدارس الأجنبية التي تمّ فتحها لتعليم ابناء الجاليات الأوربية الموجودة في تونس ولاسيما الإيطالية منها.

واقتصر التعليم في تونس على التعليم الديني بالكتاتيب الملحقة بالمساجد أو الزوايا أو المدارس التي جرى فتحها آنذاك، إذ أبدت الدولة الحفصية (١٢٠٧ – ١٥٧٤) عنايةً بالتعليم من سلاطينها الذين سعوا إلى تعليم أبنائهم وخاصتهم [٧]، حتى أنَّه أصبح تقليدًا طبقته الأسرة المرادية (١٦٣١– ١٧٠٢) والحسينية (١٧٠٥ –١٩٥٦) وكذلك بعض الأعيان من الأتراك والمماليك والأندلسيين، إذ كانوا يقومون ببناء كتابٍ في قصورهم ويجلبون لها المؤدبين (المعلمين) الذين يهتمون بتعليم ابنائهم وبناتهم[٨]، فضلاً عن أنَّه كان لكبار موظفي الدولة وأصحاب الثروة والمكانة المتميزة في المجتمع كتابًا ومؤدبين خاصين بتعليم ابنائهم أو اتخاذ بيوتهم مكانًا للتعليم[٩].

أما بالنسبة إلى الفئات الاجتماعية الموجودة في تونس مثل: الأتراك العثمانيين فقد أفردوا كتابًا خاصة لتعليم ابنائهم تعليمًا دينيًا إلى جانب اللغة التركية. واتبعت الطائفة اليهودية المستقرة في تونس التقليد نفسه في تعليم ابنائها تعليمًا دينيًا في بيوتها ولاسيما الأغنياء منهم(١٠).

وممّا سبق يبدو أنَّ عدد الكُتاب المخصصة لتعليم الأطفال كانت مقتصرةً على أصحاب الشأن وذوي المكانة والأثرياء، ولم تعطِ المصادر إحصائيةً للمكاتب الخاصة بتعليم كلّ فئةٍ من فئات المجتمع في تونس.

وكان الطفل إذا دخل إلى الكتاب في سنّ السادسة من عمره لا يغادرها إلا وهو في السنة العاشرة أو السابعة عشر، يقضي ساعات طويلة للدرس ما بين (٧ –٨ ساعاتٍ يوميًا) وعلى مدى خمسة أيامٍ في الأسبوع عدا يومي الخميس والجمعة، فضلاً عن أيام الأعياد الإسلامية. ويتلقى الأطفال فيها دروسًا في حفظ آياتٍ من القرآن الكريم، والقراءة، والكتابة من دون تعلم مواد أخرى(١١).

وبينت حياة الماجري عدد المكاتب الخاصة بتعليم أولاد المسلمين في عام ١٧٥٣ بـ(٦٢) مكتبًا في تونس وفي منطقة ربض باب الجزيرة (٢١) ، وربض باب سويقة (٣٤) مكتبًا، فيكون العدد الكلي (١١٧) مكتبًا (١٢)، في حين تناقص عدد الكتاب في عام ١٨٧٥ وأصبح العدد الإجمالي (٦٦) مكتبًا، (٣٧) منها في مدينة تونس و(١١) في باب سويقة و (١٨) في باب الجزيرة، ممّا أثار استغراب الوزير الأكبر خير الدين باشا (١٨٧٣– ١٨٧٧)(١٣) الذي طلب من قيادات البلاد بيان سبب ذلك(١٤)، وتمّت إجابتهم بأنَّ السبب في ذلك يعود إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية لسكان البلاد ممّا جعل الكثير منهم يقومون باصطحاب أولادهم إلى أعمالهم اليومية وترك التعليم في الكتاتيب(١٥)، إذ اتصف التعليم بالكتاتيب بأنّه تعليمٌ قاسٍ لما فيه من السلبيات؛ كونه لا يسمح للطفل بمدة استراحةٍ أثناء الدروس أو ممارسة الرياضة ولاسيما بعد الجلوس لساعاتٍ طويلةٍ، وللنظام التأديبي المتبع (الفلقة) أثره السلبي في نفسية الأطفال المتعلمين، فضلاً عن عدم وجود مواد تؤهل التلاميذ للمرحلة القادمة، مثل: الحساب واللغة، فالقليل منهم يتمكن من إنهاء تعليمه في جامع الزيتونة أما الغالبية ممّن ينهون دراستهم في الكُتاب فيلتحقون مع آبائهم في الأعمال الحرة، فكان لذلك أثره في قلة عدد المتعلمين في الكُتاب(١٦).

أما فيما يخصّ أعداد التلاميذ المتعلمين في الكتاب بمدينة صفاقس –على سبيل المثال– ، فقد أرسل عاملها وقاضيها تقريرًا إلى خير الدين باشا في عام ١٨٧٥، ذكروا فيه أعداد التلاميذ الذين ذهبوا للكتاب يقدّر بـ(١٠٣٤) تلميذًا، (٦٥٠) منهم في مدينة صفاقس لوحدها، وهما عددان منخفضان قياسًا إلى عدد التلاميذ التونسيين الذين وصل عددهم بحدود (٣٤٩٥) تلميذًا للعام

نفسه[١٧] موضحًا في التقرير إلى أنَّ الأوضاع الصحية كانت سببًا في قلة أعداد المقبلين على التعليم في الكتاب، ولم يمضِ عامٌ على التقرير، حتى قامت الحكومة بإصدار أمرٍ حكوميّ؛ لوضع الإجراء اللازم فيما يخصّ تحسين الأوضاع الصحية للتعليم في الكتاب[١٨].

وأخذت عدد المكاتب في تونس بالزيادة عام ١٨٧٩ وقد ذكر محمد بيرم الخامس أنَّه في مدينة تونس لوحدها أنشئت (١١١) مكتبًا لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، وضمّت ما يقارب (٣٥٠٠) تلميذٍ[١٩]. ويبدو أنَّ ذلك التعليم قابلٌ للزيادة والنقصان في عدد مكاتبه وطلابه بحسب الظروف العامة للبلاد، وعلى الأغلب أنَّ الكتاب كانت ملحقةً بالمساجد أو الجوامع أو الزوايا فقد كان المسجد يقوم بمهمة التعليم لمرحلة ما بعد تعليم الصبيان، أي: تعليم القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم.

وأدّت الزاوية دورًا مهمًا في تعليم الناشئة بعد أنْ تحولت إلى مدارس لتعليم القرآن الكريم[٢٠]. إلا أنَّها لا تقارن مع الدور الذي قام به الكتاب والمدارس التي وجدت في تونس.

أما بالنسبة إلى المدارس التي كانت موجودةً في تونس، فقد اقتصرت على المدرسة الشماعية أول المدارس التي جرى تأسيسها في العهد الحفصي في عام ١٢٣٥ لتعليم التلاميذ[٢١]، والمدرسة التي بناها ابو عمرو عثمان حكم بين (١٤٥٣ –١٤٧٠) الواقعة في نهج زاوية سيدي محرز خلف[٢٢]، في عام ١٤٨٠، وجعل فيها درسًا لتعلم القراءة ، وألحق بالمدرسة مسجدًا ومسكنًا للطلبة[٢٣].

وأصبح أمر تعليم الصبيان في المدارس من مهام تلك المؤسسة، وقد بيّن محمد الطاهر بن عاشور أنَّ المدارس بعد عهد الدولة الحفصية أصبحت بيوتًا للسكن لا للدراسة[٢٤]. في حين عرفت المدارس في العهد المرادي (١٦٠٣ – ١٧٠٥) بشهرتها العلمية أكثر من الجوامع حتى بداية عهد الأسرة الحسينية عام ١٧٠٥ إلا أنَّ تلك المدارس فقدت وظيفتها التعليمية لتكون سكنًا للطلبة في القرن التاسع عشر[٢٥].

وشيّدت عددًا من المدارس في عهد الأسرة الحسينية إذ شيّد حسين بن علي (١٧٠٥–١٧٣٥) مدرسة النخلة في عام ١٧١٤، ثم شُيّدت مدارس أخرى في عهد علي باشا (١٧٣٥–١٧٥٦)، إذ أنشأ المدرسة الباشية[٢٦]، عام ١٧٥٢ ثم المدرسة السليمانية تخليدًا لذكرى ابنه سليمان في عام ١٧٥٤ التي أوقف لها رواتب للمدرسين والطلبة، ثم المدرسة العاشورية التي أُسست في عام ١٧٥٦ التي استمدت اسمها من الحي الذي أُسست فيه، وقد عني علي باشا بهذه المدرسة التي أسسها لطلبة المذهب المالكي[٢٧]، إذ أوقف عليها أوقافًا كافيةً شملت شيخ المدرسة، وشيخ القراء، والمدير، والمؤذن، والطلبة أيضًا. وأوقف لها مكتبة ضمّت (٣٥٧)

مخطوطًا لمساعدة الطلبة في دروسهم، فيما اقتصر الدور الأساس للمدرسة على إعطاء الدروس الدينية واللغوية، وتعدّ المدرسة الوحيدة التي حوت على مأذنة[٢٨]، لتكون مكانًا للتعلم والعبادة [٢٩]. وأمر علي باشا بإنشاء مدرسة بئر الأحجار إلا أنَّه لم يتم بناؤها إلا في عام ١٧٥٧، أي: بعد تنحيته عن الحكم[٣٠].

وكانت القشلة (الثكنة العسكرية) من المؤسسات التي اتخذها عددٌ من الحكام مكانًا لتعليم التلاميذ، وذلك منذ عهد حمودة باشا (١٧٨٤ – ١٨١٤) حتى عهد أحمد باي (١٨٣٧–١٨٥٥) وأمام قلة المدارس الحكومية اتخذ من الحوانيت والمخازن مكانًا لتعليم التلاميذ، إذ كان المعلم يقوم بكراء الحانوت أو المخزن، وفي بعض الأحيان يكون بيت المعلم مكانًا للتعليم أيضًا. وقد بقيت تلك المؤسسات قائمةً تؤدي دورها التعليمي حتى القرن التاسع عشر للميلاد[٣١].

أما بالنسبة إلى المدارس الأجنبية التي كانت موجودةً في تونس فهي المدرسة الدينية الفرنسية التي فتحت في عام ١٨٣١[٣٢]، والمدرسة الإنكليزية التي أسستها الجالية الإنكليزية عام ١٨٣١ وضمّت ثلاثة صفوف فقط[٣٣]، والمدرسة المالطية التي افتتحت في عام ١٨٣٥ وضمّت ثلاثة صفوفٍ ابتدائية لتعليم ابناء طائفتهم[٣٤]، فضلاً عن أنَّه فُتحت مدارس أجنبية أخرى وسيرد ذكرها في الصفحات القادمة.

أولاً: التعليم في تونس بين الأعوام (١٨٣٧ –١٨٥٥)

١– الإصلاح التعليمي في جامع الزيتونة:

وعلى الرغم من ذلك الموروث الحضاري للتعليم إلا أنَّه ظلّ متأخرًا عن تحقيق غاياته العلمية الأساسية بعد التغييرات التي حصلت في أوربا بعد الثورة الصناعية وبداية توجهات تلك الدول نحو البلدان العربية التي أصابها التأخير في عدّة ميادين.

لذا انتشر التعليم الديني التقليدي بمؤسساته العريقة فكان جامع الزيتونة[٣٥] وأبرز مثال على التعليم الديني في القرن التاسع عشر الذي يعدّ من أولى الجامعات العريقة في البلاد الإسلامية بعد جامعة القرويين في المغرب، والأزهر في مصر. وقد أشار محمد الحشائشي إلى ذلك في كتابه (تاريخ جامع الزيتونة) قائلاً: "إنَّه من جامع الزيتونة، انطلقت جيوش تونس لفتح الأندلس، وتأسس في المغرب جامع القرويين الذي احتذى بجامع الزيتونة، في نشر مبادئ الإسلام وإعلاء صرح العلم وحماية اللغة العربية وآدابها، وفي ربوعٍ إفريقيةٍ خرجت جحافل جوهر الصقلي ليؤسس مدينة القاهرة معقل جامع الأزهر الشريف الذي حمل رسالة جامع الزيتونة"[٣٦]. ممّا يدلّ على المكانة والدور الذي أداه جامع الزيتونة والذي لم يقتصر دوره على كونه جامعًا

لتأدية الصلاة فيه، بل كان جامعًا لنشر العلوم الدينية ليس في تونس فحسب بل في العالم الإسلامي، وأجمع كما كان مركزًا تنطلق منه الجيوش لنشر الدين الإسلامي باتجاه إفريقيا(٣٧).

أما فيما يخصّ أساتذته والمواد التي كانت تدرس في الجامع وطبيعة التدريس، فقد كان يدرّس فيها فقهاء ذو ثقافةٍ إسلاميةٍ عاليةٍ هدفهم تكوين الطلبة تكوينًا خاصًا ومغلقًا ومستقلاً، وكان غالبية طلابه من الأعيان والأغنياء في بداية الأمر(٣٨). ثم أصبح غالبيتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من المناطق البعيدة عن العاصمة تونس(٣٩).

وكانت المواد التي تدرّس في الجامع متنوعةً تتضمن بين العلوم العقلية والنقلية التي ضمّت التفسير، والحديث، والتوحيد، والقراءات، ومصطلح الفقه، وآداب الشريعة، والنحو، والبيان، واللغة العربية، والأدب، وعلم العروض، والمنطق، والتاريخ، والحساب، والهندسة، والهيأة، والميقات، والمساحة(٤٠). وكانت الدروس تلقى في الصباح والمساء على أنْ يتمّ تخصيص وقتٍ للدروس الدينية ما بين صلاة المغرب والعشاء ، إلا أنَّه غالبًا لا يحضر الكثيرون إلى تلك الدروس، ولاسيما أصحاب الحرف بعد انتهاء عملهم(٤١). وكانت طريقة التدريس المعتمدة هي الإلقاء في تفسير المتن أو تقرير لأقوال شرح الأستاذ وإخراج الاختلاف الذي بينهما(٤٢).

وعلى الرغم من تقليدية التعليم في جامع الزيتونة إلا أنَّه تمّ إجراء تعديلاتٍ على نظام التعليم وضبط الأمور الإدارية فيه بشكلٍ كبيرٍ –وهذا ما سنوضحه لاحقًا–.

وشملت الحركة الإصلاحية التي قام بها أحمد باي(٤٣) عدّة جوانب مثل: الأمور العسكرية، والإدارية، والقضائية، والاقتصادية، والاجتماعية(٤٤)، وكان التعليم أحد أهم تلك المجالات التي نالت الحيّز الأكبر من عناية الباي أحمد ، ووجد أنَّ العناية فيه ضرورةٌ لابدَّ منها، وسعى أحمد باي إلى جعل جامع الزيتونة مؤسسةً علميةً مهمةً. وأراد من هذه العناية إرضاء السكان من أصحاب المذهب المالكي؛ بسبب ما كان يحظى به أفراد المذهب الحنفي(٤٥). على قلتهم من امتيازات(٤٦).

وأصدر أحمد باي أمرًا عرف بـ(المعلقة) وهو قانونٌ صدر في تشرين الأول/ نوفمبر عام ١٨٤٢؛ لغرض تنظيم سير الدروس وتحسين رواتب الأساتذة، وضمان حسن التدريس بإنشاء مجلس الجامعة المكلف بالتفتيش والرقابة على الدروس وهيأة التدريس وانتقاء أساتذةٍ لمراكز الأساتذة الشاغرة(٤٧).

وقد بيّن محمد الطاهر بن عاشور في كتابه (أليس الصبح بقريبٍ) أهمية الإجراءات الإصلاحية التي قام بها أحمد باي فذكر قائلا: "... فأدرك فائدة تنظيم التعليم وكفاية المدرسين... عرف ذلك التنظيم بالمعلقة لتعليق ظهره بالحائط الغربي قرب باب الشفاء بجامع الزيتونة، كما نظم سير الدروس فعيّن لكلّ مدرسٍ درسين في اليوم"(٤٨). وذكر آخر قائلاً: "بادر

أحمد باي في غرة كانون الأول من سنة ١٨٤٢ لتحسين رواتب ثلاثين شيخًا مدرسًا بالزيتونة من دخل بيت المال من إرثٍ لا عاصب له، فكتب ذلك المنشور بالذهب وختمه بطابعه وعلقه عند باب الشفاء من الجامع الأعظم"[٤٩].

وحدّد أحمد باي عدد المدرسين في جامع الزيتونة بعد أنْ كان غير منضبطٍ، إذ أصبح عددهم أكثر من (١٠٠) مدرسٍ، (٣٠) منهم مصنفون على الدرجة الأولى، يتقاضون راتبًا قدره (١٥٠) ريالاً شهريًا، و(١٢) منهم من الدرجة الثانية يتقاضى كلّ واحدٍ منهم (٩٠) ريالاً شهريًا[٥٠]، وتُعطى رواتبهم من الأوقاف[٥١]. أما البقية وهم أكثر من (٦٠) مدرسًا لا يتقاضون رواتب بل تقدّم لهم إعانات سنوية ممّا يُجمع من أموالٍ نتيجة العقوبات المالية التي كان يتعرض لها عددٌ من المدرسين؛ بسبب غيابهم أو تأخرهم أو بسبب مخالفاتٍ أخرى[٥٢].

وتابع أحمد باي مسألة تقسيم الحصص بين المدرسين، إذ جعل نصف مدرسي الدرجة الأولى من المالكية، ونصفهم الآخر من الحنفية، ويتمّ ذلك بانتخاب (١٥) عالمًا من المالكية و(١٥) من الحنفية[٥٣]، ووُضعت شروطًا في حال نقص أحد المدرسين الثلاثين بأنْ يفتح باب التقديم على الوظيفة الشاغرة بالمفاضلة للمتقدمين بحسب كفاءة كلّ واحدٍ منهم ، إذ يجري امتحانهم بالمناظرة أمام شيخي الإسلام الحنفي والمالكي وقاضيي الحنفية والمالكية ليتم الاتفاق عليه من قبلهم جميعًا ثم يرفع اسم المتفوق منهم إلى الباي ليوقع على أمر تعيينه وتخصيص راتبٍ شهريّ له مثل بقية المدرسين[٥٤].

وأُسند مراقبة الدروس ومواظبة المدرسين إلى رئيس الإفتاء بالمذهبين وإلى القاضيين وعيّن لهم مرتبًا لذلك[٥٥].

ويحقّ للعالم أنْ يلقي محاضرتين على طلابه في أيّة مادةٍ علميةٍ يختارها بنفسه والوقت الذي يناسبه من النهار[٥٦]، وحُددت أيام العطل أثناء الدوام التي شملت الخميس والجمعة وأيام شهر رمضان جميعها [٥٧] وأيام العيدين[٥٨]. وفيما يخصّ الأمور الإدارية فقد كلف أحمد باي إدارتها من شيخي الإسلام الحنفي والمالكي وخصّص لكلّ منهما راتبًا شهريًا قدره (١٠٠) ريالٍ شهريًا[٥٩].

أما بالنسبة إلى النظام الداخلي للجامع فيما يخص المواد التي تدرس فقسمت على قسمين من العلوم أولهما: العلوم الشرعية التي ضمتّ تفسير القران، والحديث، والتوحيد، والفقه، والفرائض، والكلام، والتصوف وغير ذلك. وثانيهما: العلوم الوضعية وضمت النحو، واللغة، والمعاني، والأدب، والشعر، والبيان، والمنطق، والتأريخ، والجغرافية، والحساب، والمساحة، والهيأة (علم الفلك عند المسلمين)[٦٠].

أما المراحل التي تألف منها الجامع فهي: الابتدائية، والمتوسطة، والعالية (ويقصد بها الجامعة). ويحصل طالب الابتدائية على شهادة تسمّى بـ(الاهلية)، ويُمنح طالب المتوسطة شهادةً تسمّى بـ(التحصيل) أما العالية فيمنح الطالب شهادةً تسمّى بـ(العالمية) التي يحصل عليها بعد اجتيازه الامتحانات العامة التحريرية والشفهية التي كان يحضرها الوزير الأكبر، ورجال الشرع، والعلماء، وأعيان البلاد[٦١]. ويحقّ للطالب الحاصل على الشهادة العالمية التقديم للتعيين في الوظائف العامة بحسب القسم والتخصص الذي تخرج فيه، فالذين أنهوا دراستهم من العلوم الشرعية يحقّ لهم الحصول على وظيفة القضاء أو الإفتاء أو الإمامة، أما الذين أنهوا دراستهم من العلوم الوضعية فيحقّ لهم التقديم على الوظائف الإدارية، والمجالس العدلية، والوكالة (المحاماة)[٦٢].

وألحقت بالجامع مكتبة كان أحمد باي قد أخرجها منذ عام ١٨٤٠ من القصر إلى الجامع ليطلع عليها الناس كافةً، وقد وضعت بمشاركة كبار شيوخ الزيتونة في عشرين خزانةٍ على يمين المحراب وشماله وعيّن وكيلين لتلك المكتبة، وسمح بإعارة الكتب خارج المكتب لمدة عامٍ فقط؛ لانتفاع أكبر عددٍ من القرّاء [٦٣].

وأمر أحمد باي بكتابة كلّ تلك الإجراءات وألزم العمل فيها؛ لإظهار أهمية التعليم وحرصه على المال بتلك الإجراءات، وكان غرضه من تعليق القانون في جامع الزيتونة؛ حرصًا منه على العمل به طوال السنين[٦٤].

وحرصًا من الباي أحمد وتشجيعه على العلم والتعلم، كان يبادر دائمًا إلى حضور حلقات العلم في الجامع، ويمنع المدرسين والتلاميذ من الوقوف أمامه أثناء دخوله؛ ليظهر هيبة العلم والمتعلمين ولرفع شأنهم، وأمر أنْ يأتوا لتهنئته أيام العيد يتقدمهم كبير أئمة جامع الزيتونة، فيستقبلهم بعد استقباله أعضاء المجلس الشرعي مباشرةً[٦٥]. وهذا دليلٌ على المكانة التي أعطاها لهم الباي أحمد.

٢- المدارس الأجنبية

نشأت المدارس الأجنبية في تونس في القرن التاسع عشر؛ لعدم وجود مدارس رسمية ولرغبة الأهالي بتعليم ابنائهم، وسمح بايات تونس لأصحاب تلك المدارس بممارسة نشاطهم التعليمي ولاسيما بعد الترحيب والتشجيع الذي لاقوه من أحمد باي حينما وفرَّ لهم الأبنية الخاصة بالمدارس[٦٦]. فضلاً عن وجود جاليةٍ أوربيةٍ بأعدادٍ كبيرةٍ تطلّب إنشاء مدارس لأبنائهم، الذين لم يكن التعليم التونسي يلبي حاجاتهم، فتمّ إنشاء عدّة مدارس كانت من بينها:

- **المدرسة الإيطالية**

أسسها اليهوي الإيطالي بومبو سوليما Pompmo Sulma مع أخته أستر Esther مدرسة إيطالية منذُ عام ١٨٣١[٦٧]، إذ بدأت تعليمها بإمكانياتٍ متواضعةٍ لم يلتحق بها سوى (١٥) تلميذًا و(٧) تلميذاتٍ، إلا أنَّ العدد أخذ بالتزايد بعد عدّة سنواتٍ ولاسيما بعد التعاون بين مؤسسها والأب بورقاد Bourgade[٦٨] عام ١٨٤٠[٦٩] وأنشأت الجالية الإيطالية مدرستين بمساعدة القنصل الإيطالي في تونس إحداها للفتيات وأخرى في منطقة حلق الوادي (الواقعة شمال تونس) وقد نالت هاتان المدرستان عناية الحكومة الإيطالية، وقام الوزير الإيطالي كريسبي فرانسيسكو Crispi fransesci[٧٠]، على تنظيمها والإشراف الفعلي عليها حتى عام ١٨٨٦[٧١].

وأنشا بورقاد مدرسة القديس لويس عام ١٨٤١[٧٢]، وأسست مدرسة أخرى في العام نفسه في منطقة باب قرطاجنة وهي مدرسةٌ خاصةٌ بالبنات المتخلفات عن الالتحاق بالمدارس، وأُفتتحت مدارس أخرى في ميدنتي سوسة وصفاقس[٧٣]، وكان بورقاد قد أسس في العاصمة تونس مدرسة سان لوي ثانوية للذكور التي أصبحت تسمّى بـ(معهد كارنو)، (ثم أصبح معهد بو رقيبة النموذجي فيما بعد)، فضلاً عن أنَّه أسس أول مدرسةٍ فرنسيةٍ عام ١٨٤٥ إذ دخلها تلاميذ من الجنسيات الأجنبية والأديان جميعًا، وكان التلاميذ يتعلمون فيها اللغة الفرنسية والإيطالية إلى جانب علوم الرياضيات، والتأريخ، والجغرافية[٧٤].

وقام الإنكليز والمالطيون والإيطاليون بإنشاء مدارس خاصة بالتعليم الابتدائي فقط، وكان المعلمون هم المسؤولون عن وضع برامج التعليم فيها، فقد أسس الإيطاليون عام ١٨٥٥ وبمساعدة القنصل الإيطالي آنذاك مدرسةً للذكور الإيطاليين فقط بالقرب من قنصليتهم ضمّت أكثر من (٢٠٠) تلميذٍ[٧٥].

وبقدر تعلق الأمر بالتعليم في تونس فقد أسس موربيور جيوسيب Morparyo Giuseppe اليهودي التونسي، و Salone و Luisada في عام ١٨٤٠ مدرسةً ابتدائيةً للطائفة اليهودية تحولت فيما بعد إلى معهدٍ سُمي بـ(الرابطة اليهودية)[٧٦].

- **مدارس الإرساليات**

ظهرت الإرساليات التنصيرية في تونس في القرن التاسع عشر مستغلةً وجود أعدادٍ كبيرةٍ من الجاليات الأوربية ومن جنسياتٍ مختلفةٍ، وسهّل القناصل الأوربيون الموجودون في تونس آنذاك عمل المنصرين بمنحهم بعض الامتيازات وتوطيد علاقاتهم مع بايات تونس الذين رحبّوا بهم وقدّموا لهم عدّة تسهيلاتٍ[٧٧]. ممّا شجع المنصرين على تحقيق غاياتهم التي هدفت في

جوهرها إلى تنفير المسلمين من دينهم مستغلين في ذلك سوء أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية بل جعلوا من تونس نقطة انطلاقٍ لهم تجاه القارة الإفريقية(٧٨).

ودخلت جمعية أخوات القديس(٧٩) يوسف للظهور تقودهن الراهبة اميل دي فيلار Emile de vialar (٨٠). تونس في عام ١٨٤٠ وبرعاية القنصل الفرنسي شارل دلاقو (١٧٩٨- ١٨٧٠) واستطاعت اميل دي فيلار من فتح عدّة مدارس ومستوصفاتٍ ملحقة بها، وقد عُدّ ذلك العمل جزءًا أساسًا في نشاطها لنشر أعمال الإحسان الكاثوليكي المتعارف عليه في التقاليد الكنسية(٨١).

وقامت الراهبة اميل دفيلار مع مجموعةٍ من الراهبات بفتح عدّة مدارس في تونس وعلى الشكل الآتي:

- **مدرسة نهج سيدي صابر**(٨٢).

أسستها رئيسة الأخوات القديس يوسف اميل دي فيلار عام ١٨٤٠(٨٣). وتعدّ أول مدرسةٍ للبنات في تونس(٨٤). تألفت من ثمانية صفوفٍ بلغ عدد الفتيات اللواتي التحقن بها (٢٥) تلميذةً في بدء الأمر، ثم توسعت المدرسة بعد ازدياد أعدادهن وقد ألحق بالمدرسة مستوصفٌ خيريٌّ لمعالجة المرضى ومساعدتهم ليتوافق مع غاياتهن. وأصبحت المدرسة من أكبر المدارس في العاصمة تونس، إذ ضمّت تعليمًا ابتدائيًا وثانويًا وكان التعليم فيها مجانيًا(٨٥)، وهي محاولةٌ من المدرسة لتدريب الطالبات ولاسيما الفقيرات لإيجاد مصدر رزقٍ لهنَّ لإعالة عوائلهن، أما فيما يخصّ المواد التي تدرّس في المدرسة، فاقتصرت على مطالبة أولياء أمور التلميذات منها على تعليم بناتهم الأشغال اليدوية بالدرجة الأولى ثم تعليمهن اللغة الفرنسية إلى جانب تدريسهن اللغة الإيطالية، فضلاً عن الصلوات والتراتيل الدينية(٨٦). وقد بقيت المدرسة تستقبل التلميذات من جنسياتٍ أوربيةٍ وأديانٍ مختلفةٍ بلغ عددهّن (٣٠٢) تلميذة كان من ضمن الملتحقات بالمدرسة عددٌ من الفتيات اليهوديات(٨٧).

وبعد أقلّ من عامٍ قامت اميل دفيلا بفتح مدرسةٍ أخرى في الحي نفسه عُرفت بمدرسة سيدي صابر الداخلية والخارجية للفتيات أيضًا وهي غير مجانيةٍ خُصصت لأبناء عوائل التجار والأغنياء من عوائل الجاليات الأوربية من فرنسياتٍ، وإيطالياتٍ، ومالطياتٍ، ويهودياتٍ، وأُلحق بالمدرسة مستوصفٌ لعلاج المرضى وقد أشرف بورقاد على الامتحانات النهائية للمدرسة بنفسه وأقام احتفالاً استدعى له القنصل الفرنسي وشخصيات رسمية أخرى، كانت غايته من ذلك قائلاً: " إنَّه ضروريٌّ من أجل مجد الدين وشرف فرنسا"(٨٨).

وأشاد بورقاد بدور أخوات القديس يوسف ونشاطهنّ في مجالي التعليم والصحة في تونس ولاسيما بما حققنّ من تواصل بين المسلمين والمسحيين، وكسبن قلوب الأهالي وعقولهنّ، بأنّهنَّ عاملاتٌ بثباتٍ على نشر الرسالة الكاثوليكية المقدسة(٨٩).

وتزامن عمل أخوات القديس يوسف التعليمي، قيام بورقاد بالدور ذاته حينما أقبل على فتح عدّة مدارس، إذ فتح مدرسةً للذكور عام ١٨٤٢(٩٠). وضمّت سبعة أولادٍ فقط، ثم قام بتحويل المدرسة إلى ثانويةٍ تحمل الاسم نفسه عام ١٨٤٣(٩١)، فضلاً عن أنَّه فتح في عام ١٨٤٥ مدرسةً ثانويةً أخرى في حي سيدي المرجاني بتونس الذي يسكنه التلاميذ من الجنسيات والأديان كافةً، وكان التلاميذ يتعلمون فيها اللغة الفرنسية والإيطالية إلى جانب علوم الرياضيات، والتاريخ، والجغرافية. وقد بلغ عدد التلاميذ فيها (٢٠٠) تلميذٍ غالبيتهم من الجالية الإيطالية، وبحدود ثمانين تلميذًا من العرب واليهود (٩٢).

وألحق بالثانوية مدرسةً ابتدائيةً للأطفال، أعداد تلاميذها بين ٣٠ –٤٠ تلميذًا يتلقون تعليمهم على يد إحدى أخوات القديس يوسف تساعدها امرأةٌ يهوديةٌ. وفتح بورقاد في المدرسة الثانوية مطبعةً حجريةً تُعدّ الأولى في تونس أفاد منها في طبع نشرياته الدينية(٩٣)، وقد استمرت المدرسة حتى عام ١٨٦٣(٩٤). فضلاً عن أنَّه أسس في عام ١٨٤٩ مدرسة الأمومة (رياض الأطفال) وسلم إدارتها إلى امرأةٍ يهوديةٍ وأخرى راهبة من طائفة القديس يوسف، وكان عدد تلاميذها ما يزيد عن (٥٠) تلميذًا (٩٥)، استمرت حتى سنوات الحماية الفرنسية على تونس.

مدرسة مدينة سوسة: أنشئت من راهبات القديس يوسف وبناءً على طلب سكان المدينة والجاليات الأوربية أيضًا، فكانت أول مدرسةٍ خارج مدينة تونس في عام ١٨٤٣(٩٦)، وحوت قسمين الأول: التحق به عددٌ من التلميذات مجانًا، والقسم الثاني كان يدفع مبالغ مقابل التعليم(٩٧)، ثم أُلحق بالمدرسة مستوصفٌ لمعالجة المرضى(٩٨).

مدرسة سوسة للذكور: أنشأتها جمعية القديس يوسف أيضًا للذكور فقط وكانوا يتعلمون فيها حتى سنّ الثانية عشرة، وصل عدد التلاميذ فيها ما بين عامي ١٨٤٣ –١٨٦٠ إلى (٨٩٨) و(١٠٣٥) تلميذًا في الأعوام ١٨٦٠ –١٨٧٠(٩٩).

مدرسة مدينة صفاقس: أنشأتها اخوات القديس يوسف بطلبٍ من الجالية الأجنبية في المدينة لتعليم بناتهم، وقد فتحت المدرسة في الطابق السفلي للقنصلية الفرنسية عام ١٨٥٢ وألحق معها مستوصفٌ في إحدى غرفها لمعالجة المرضى(١٠٠).، وفي عام ١٨٥٣ جرى الانتقال إلى بناية المدرسة متوسطة الحجم بجانبها مستوصفٌ صغيرٌ، وكانت الدراسة فيها مجانيةً ممّا زاد في إقبال التلاميذ على الدخول فيها(١٠١). وقد قُسّمت المدرسة بعد انتقالها إلى بنايةٍ اكبر على ثلاثة

أقسامٍ، اثنين مقابل أجور والثالث مجاني، ضمت أبناء جالياتٍ أجنبيةٍ مختلفةٍ[١٠٢]. وقد أغلقت المدرسة عدّة مراتٍ؛ بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة لأهالي التلاميذ، إلا أنَّها استمرت مفتوحةً حتى بعد الاحتلال الفرنسي لتونس عام ١٨٨١ [١٠٣].

مدرسة حلق الوادي: أسستها أخوات القديس يوسف عام ١٨٥٥[١٠٤]. لتعليم البنات بمساعدة أعيان مدينتي تونس وحلق الوادي، وكان للمدرسة قسمٌ ابتدائيٌّ فقط في سنواتها الخمس الأولى، وقد بلغ عدد تلميذاتها (١٥) تلميذةً في سنتها الأولى (٢) فرنسياتٍ و (٨) ايطالياتٍ و (٤) يهودياتٍ[١٠٥]، وقد ازداد أعداد التلميذات بشكلٍ متدرجٍ، ففي عام ١٨٥٦ بلغت (٢١) تلميذةً، وفي عام ١٨٥٨ بلغت (٢٥) تلميذةً. وفي عام ١٨٦٠ ارتفع العدد إلى (٢٨) وفي ذلك العام قسمت المدرسة على ثلاثة أقسامٍ: ابتدائية، ومتوسطة، وعالية (ثانوية)، وكانت المدرسة الأولى في تونس التي فتح فيها القسم الثانوي ولاسيما بعد أنْ وجدت الجالية الأجنبية ضرورة متابعة بناتهم تعليمهنَّ الثانوي، فازداد إقبال الفتيات على المدرسة حتى وصل عددهن إلى ١١٩ عام ١٨٨١[١٠٦].

مدرسة شارع القصبة: أسستها (إرسالية أخوة العقيدة المسيحية بتونس)[١٠٧] في العاصمة تونس عام ١٨٥٥ وقد تولى مركز الإرسالية بباريس تمويل مشروع البناء ورواتب مدرسي المدرسة، وكان التعليم فيها مجانيًا للفقراء وبالمقابل للأغنياء من التلاميذ، وبذلك قُسّمت المدرسة على أربعة أقسام: قسمين للفقراء وقسمين للأغنياء، وقُسّمت برامج التعليم على قسمين: أحدهما فرنسي والآخر إيطالي، وقد استقبلت المدرسة عند فتح أبوابها (٦٠) تلميذًا ثم ازدادت أعدادهم حتى وصلت إلى اكثر من (١٠٠) تلميذٍ في عام ١٨٦٠[١٠٨].

مدرسة شارع الكنيسة: أسست عام ١٨٥٦ من الإرسالية السالفة الذكر بعد أنْ أهدى الباي محمد (١٨٥٥-١٨٥٩) أرض المدرسة لهم، لتضم القسمين المخصصين لأبناء الفقراء الموجودين في المدرسة شارع القصبة، فأسست هذه المدرسة بناءً على طلب أهالي ابناء الأغنياء الذين رفضوا اختلاط ابنائهم مع التلاميذ الفقراء، فأصبحت مدرسة شارع القصبة للتلاميذ الأغنياء ومدرسة شارع القصبة للتلاميذ الفقراء، وقد ضمّت ثلاثة صفوفٍ، بلغ عدد الطلاب الملتحقين في السنة الأولى من افتتاح المدرسة (١١٠)، ثم ارتفع إلى (٢٠٠) تلميذٍ بين (١٨٥٦ -١٨٦٠) ممّا يعني أنَّ ابناء التونسيين كان لهم نصيبٌ من تلك الأعداد للتعلم بهذه المدرسة.

٣- المدرسة الحكومية (المدرسة العسكرية بباردو):

تُعدّ المدرسة العسكرية باردو النوع الثالث من المدارس الموجودة في تونس في القرن التاسع عشر، وقد اختلفت الدراسات التاريخية في تاريخ إنشاء مدرسة باردو الحربية فهناك مَنْ

ذكر أنَّ تأسيسها تزامن مع تأسيس الجيش النظامي في عهد حسين باي الثاني (١٨٢٤-١٨٣٥) الذي عمل على تأسيس المكتب الحربي في المدة ما بين (١٨٣١ و ١٨٣٤) وهو تسميةٌ لمدرسةٍ عسكريةٍ الغرض منها تخريج ضباط للجيش النظامي[١٠٩] وأُسندت إدارتها إلى الأمير الآي الإيطالي لويس كاليغاريس Louise Calligari[١١٠]. في حين ذكر أحمد بن أبي الضياف أنَّ تاريخ إنشاء مكتب الحرب في سرايا باردو يعود إلى ٥ آذار/مارس ١٨٤٠[١١١]، أما محمد بن الخوجة فذكر أنَّ تلك المدرسة أحدثها أحمد باي[١١٢].

وعلى ما يبدو أنَّ محمد بن الخوجة أراد أنْ يقول إنَّ المدرسة كانت موجودةً أصلا وإنَّ أحمد باي أجرى عليها تحديثًا. في حين أرجع أحمد عبد السلام ذلك التاريخ إلى عام ١٨٣٨[١١٣]. فضلاً عن كتاباتٍ أخرى كثيرةٍ رجّحت الرأي الأول، وقد لحظنا ممّا ذكره الكتّاب والمؤلفون أنَّ مدرسة (المكتب الحربي) ظهرت فكرتها في عهد حسين باي الثاني (١٨٢٤-١٨٣٥) إلا أنَّ إنشاء المدرسة بشكلٍ عمليّ كان في عهد أحمد باي.

ومن أسباب إنشاء هذه المدرسة عناية أحمد باي بإيجاد نخبةٍ من المثقفين قادرين على إدارة البلاد وقيادته وأنَّ ذلك الشيء لا يتحقق إلا بالتعليم والعناية بالعلم، فعمل على فتح المدرسة الحربية واعتنى بطلابها وعمل على أنْ يكون التدريس فيها على أسسٍ جديدةٍ[١١٤].

لذا كان مكتب الحرب بباردو أو مكتب العلوم الحربية أو مكتب المهندسين[١١٥] الذي تحول اسمها إلى مدرسة الصنائع أو المدرسة الحربية. أول مدرسةٍ عصريةٍ عسكريةٍ بل نواة للمدارس الوطنية التي أقيمت لنشر الثقافة العصرية في البلاد[١١٦].

وافتتحت المدرسة في عهد أحمد باي في ٥ آذار –مارس ١٨٤٠ في قصره بباردو بضاحية المحمدية القريبة من العاصمة تونس[١١٧]، فكان ذلك من أهم الإنجازات العسكرية للباي أحمد الذي أظهر عنايته بالجانب العسكري منذ توليه حكم تونس غايته من إنشائها تعليم ضباط الجيش على العلوم العسكرية وتدريبهم تدريبًا حديثًا وتخريجهم على أسسٍ علميةٍ[١١٨]. مكتسبين علومًا ومعارف حديثة ومختلفة، فضلاً عن تكوين كوادر تونسية ذي كفاءةٍ علميةٍ قادرةٍ على إدارة شؤون البلاد، وكذلك تعليم الطلبة التونسيين في بلادهم بدلاً عن إرسالهم إلى المدارس الأجنبية في أوربا. وكان هدف أحمد باي من المدرسة الحربية إعداد ضباطٍ من مختلف الصنوف والتخصصات في الجيش التونسي[١١٩].

وكانت المدرسة أشبه بالمدرسة الحربية في كلية سان سير الفرنسية[١٢٠]. وأنَّ مدير المدرسة كاليغاريس أراد أنْ ينظّم المدرسة على نمط المدرسة الحربية العثمانية[١٢١] في اسكي-سراي[١٢٢]. وقد ضمّت المدرسة تدريس عدّة مواد منها:

١. الرياضيات: خصص لتلك المادة سنة ونصف بمعدل سبع ساعاتٍ في الأسبوع وثماني ساعاتٍ للتطبيق والتمارين.

٢. بعد مضي تلك المادة يتلقى الطلاب دروسًا في الحساب المطبق على علم الجبر.

٣. الجغرافية: التي كانت تدرّس على أحدث الطرائق الأوربية، وكانت المادة تدرّس لمدة سنتين بمعدل اربع ساعات دراسةٍ، وساعتين للتمارين كلّ أسبوعٍ[١٢٣]. وتدرس مواد أخرى هي[١٢٤]: الهندسة، والمساحة، ورسم الأمثلة، المدفعية، والتعبئة الحربية، والتحصينات، والتاريخ الحربي، واللغة الفرنسية، واللغة الإيطالية، واللغة العربية وآدابها، والتربية الدينية. وكانت مدّة التعليم في المدرسة وإقامة التلاميذ بها ست سنواتٍ يتلقون فيها عشرة فصولٍ من الفنون والعلوم الآتية: القران الكريم، وعلم النحو العربي، واللغة الفرنسية ونحوها، وعلم الجبر والمقابلة، والمساحة، والجغرافية، والأماكن، وعلم الحساب، وعلم التحصين الوقتي، وأصول عمومية في علم التحصين الثابت، والصناعة الحربية[١٢٥]، فضلاً عن موادٍ للتطبيق العملي مثل: علم القوانين العسكرية والتي تحوي قانون التصرفات الحربية وعلم قوانين الخدمة، وكيفية المحافظة على الأسلحة، ومعرفة صناعة الطوبجية (المدافع)، ومطابقة علم رسم الأماكن بالمباشرة على الأرض ولاسيما بالاكتشافات الحربية والأمور المتداولة وقت الحرب، ومطابقة علم التخصيص الوقتي بالمباشرة على الأرض. وفعل القوانين العسكرية بالمباشرة على الأرض، مثل: التصرفات الحربية، وكيفية تعمير المدافع[١٢٦].

والمطلع على مناهج هذه المدرسة يلحظ أنَّها لم تكن مدرسةً عسكريةً بحتةً بل كانت مدرسةً عسكريةً تربويةً، وهي أول مدرسةٍ تعليميةٍ حوى برنامجها العلوم العسكرية والعلوم الأخرى[١٢٧].

وقد حرص أحمد باي على تدريس العلوم العربية في المدرسة واختار لها مجموعةً من الأدباء التونسيين مثل: الشيخ محمود قبادو[١٢٨] وغيره من الأدباء التونسيين الذين درسوا وترجموا المؤلفات العثمانية والأدبية التي تجاوزت الأربعين مؤلفًا أغلبها في العلوم الحربية[١٢٩].

وكان كاليغاريس يلقي المحاضرة باللغة الفرنسية ويتولى اثنان من الطلبة ترجمتها إلى اللغة العربية، ثم يراجعها محمود قبادو ويصححها[١٣٠]. وقد كتبت المناهج التعليمية بطريقةٍ سهلةٍ وواضحةٍ معززةٍ بأشكال ورسوم للطالب في الأوضاع والحركات المختلفة للجنود، والأسلحة، والخيول[١٣١].

واستقبلت المدرسة في بداية أمرها (٥٠) تلميذًا تمّ اختيارهم من صغار المماليك، وعددًا من ابناء البلاد، واقتصر ذلك على ابناء العاصمة ثم أصبحت المدرسة تستقبل (٢٠) تلميذًا كلّ

عامٍ بعد إخضاعهم لامتحانٍ في القراءة والكتابة باللغة العربية تحت إشراف أربعة ضباطٍ ومدير المدرسة، ويمنح المتخرج من المدرسة رتبة ملازمٍ ثانٍ[١٣٢]. وقد خرّجت المدرسة نخبًا وقادةً تولوا مناصب مهمة في الدولة في ذلك الوقت[١٣٣].

أما بالنسبة إلى الهيأة الإدارية التي تتألف منها المدرسة، إذ ضمّت كلاً من المدير، وكاليغاريس، وضباط الإدارة، والمدرسين، وطبيبٍ[١٣٤].

وكانت إقامة الطلبة بالمدرسة تشبه إقامة الجنود في الثكنات لباسهم موحدٌ، إقامة كاملة، ولهم رواتب كالجنود، غير أنَّهم يختلفون عن الجنود العاديين في المؤونة، بسبب صغر سنهم وكثرة مهامهم الدراسية لذا فهم يعاملون مثل الضباط في الوحدات العسكرية الذين يحملون رتبة ملازمٍ، لأنَّهم سيتخرجون من المدرسة بتلك الرتبة[١٣٥].

أما بالنسبة إلى دوام الطلبة في المدرسة ومدّة التعليم والمراحل التي تتألف منها فقد نظمت على أنْ تفتح المدرسة أبوابها مرةً كلّ عامٍ لدخول التلاميذ الجدد وخروج مَنْ انتهت إقامته بالنجاح لحمل رتبة ملازمٍ ثانٍ، أو إحالته إلى الجندية إذا لم ينجح[١٣٦].

وانقسم نظام التعليم في المدرسة على قسمين، يبدأ من القسم الثاني وتدوم الدراسة فيه أربع سنواتٍ ثم ينتقل التلميذ إلى القسم الأول وتدوم الدراسة فيه سنتين[١٣٧]. ولا يستطع التلميذ الانتقال من القسم الثاني إلى الأول، أو من القسم الأول إلى الجيش إلا بعد اجتياز امتحانٍ يشرف عليه مجلسٌ مؤلف من اثنين من الأمراء واثنين من الضباط في الجيش ومدير المدرسة[١٣٨].

أما القسم الثاني، فكانت مدّة الدوام فيه أربع سنواتٍ يتلقى التلميذ فيه المواد الآتية[١٣٩]:

السنة الأولى: القرآن الكريم، واللغة الفرنسية.

السنة الثانية: القرآن، وعلم النحو، واللغة الفرنسية.

السنة الثالثة: علم النحو، واللغة الفرنسية.

السنة الرابعة: اللغة الفرنسية، والجغرافية، وأصول علم الجبر، وعلم المساحة.

والملاحظ من تركيز المواد التي تدرس في السنوات الأربع الأولى على تعليم التلاميذ اللغة الفرنسية مع المواد الأخرى لتخريج كادرٍ عسكريّ شبيهٍ بالجيش الفرنسي وهذا ما أراده أحمد باي.

كان القسم الأول لدخول التلميذ بعد نجاحه من القسم الثاني ومدّة التعليم فيه سنتان يتلقى التلميذ فيها المواد الأتية[١٤٠]:

السنة الأولى: علم رسم الأماكن، وعلم التحصين الوقتي، والتصرفات العسكرية نظريًا وتطبيقيًا، والرماية، وحمل السلاح، والصناعات الحربية، وأصول الفنون الحربية.

السنة الثانية: يستمر التلميذ في تعلم الفنون المذكورة في السنة الأولى، فضلاً عن أنَّه يتعلم إتقان استعمال سلاح المدفعية، وعلم التحصين الوقتي، ورسم الأماكن، والصناعة الحربية. وبذلك تصل المواد جميعًا التي تعلمها التلاميذ في الستة أعوامٍ إلى سبع عشرة مادةٍ في برنامجٍ تعليميّ مكثفٍ سواء الخاصة بالفنون العسكرية أو المواد النظرية واللغوية(١٤١). وكانت المدرسة الحربية في باردو النواة الأولى لانتشار الثقافة العصرية في تونس، والمكان الوحيد الذي منه يمكن الاطلاع على المناهج والأفكار الأوربية الحديثة التي ساعدت الكثير من الشبّان التونسيين الخروج عن النطاق القديم للاطلاع على الثقافة الغربية، التي أتاحت لهم تعليمًا عصريًا حديثًا(١٤٢).

غادر كاليغاريس مدرسة باردو بعد وفاة أحمد باي في ٥ آيار/مايو ١٨٥٥ وعيّن الضابط الفرنسي جان نيكولا دي تافرن Ernest Jean Nicolas de Tavern لإدارة المدرسة، والذي عُدّ تعيينه نقطة تحولٍ في تأريخ مدرسة باردو الحربية، إذ قام بفرنسة التعليم بالمدرسة ونظام التدريس أيضًا، إذ أصبحت اللغة العربية مجرد مادةٍ ثانويةٍ، فضلاً عن أنَّ دي تافرن لم يرضَ عن الترجمات التي أنجزت ، وعدّها رديئةً جدًا؛ نظرًا لغياب المتخصصين باللغة الفرنسية في تونس، لذا وجد أنَّه من الضروري علميًا التخلي عن ترجمات الكتب إلى اللغة العربية، ودراسة الكتب بلغتها يقصد (اللغة الفرنسية) وهو متعمدٌ بذلك، فأصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الأم، لغة التحديث في حين أصبحت اللغة العربية لغة المواد التراثية مثل: الدين، والأدب(١٤٣). واستمر دي تافرن في إدارة المدرسة حتى عام ١٨٦٥ وكانت البلاد في وقتها تعاني من اضطراباتٍ سياسيةٍ في عهد محمد الصادق باي؛ بسبب ما خلّفته ثورة علي بن غذاهم(١٤٤)، وقد أدار المدرسة ضباطٌ تونسيون في أزمنة انمازت بصعوبة الظروف الاقتصادية للبلاد، فتقلص عدد الخريجين وتمّ إغلاق المدرسة في عام ١٨٦٩(١٤٥) بعد إعلان حالة التقشف وتقليل النفقات؛ بسبب الأزمة المالية التي عانت منها تونس(١٤٦).

ثانيًا: إصلاحات محمد الصادق باي في التعليم بجامع الزيتونة ١٨٧٠-١٨٨١

لم تتوقف جهود الحكومة التونسية في متابعة الاهتمام بالتعليم الديني وبما أنجزه أحمد باي من خدماتٍ جليلة لأجل نشر التعليم، ولاسيما في جامع الزيتونة الذي كان منارة العلم في العالم. إذ واصل الباي محمد الصادق (١٨٥٩-١٨٨١) جهوده في العناية بالتعليم ولاسيما التعليم الخاص بجامع الزيتونة لإكمال ما بدأه أحمد باي من إجراءاتٍ خاصةٍ بالتعليم في جامع

الزيتونة وإصلاحه، وبمبادرةٍ من الوزير الأكبر خير الدين باشا الذي قضى بتكليف أربعةٍ من مشايخ جامع الزيتونة لتقديم تقارير خاصة بأوضاع التعليم في الجامع وما الإصلاحات الضرورية التي يجب القيام بها، فكلّف الشيخ محمد العزيز بوعتور، والجنرال حسين، والمؤرخ ابن أبي الضياف، ومحمد البكوش المستشار بالوزارة الكبرى، وتتناول التقارير ما يخصّ المدرسين والتدريس بالجامع، والمكتبة، والموظفين[١٤٧].

وأراد خير الدين الاطلاع على حالة التعليم في جامع الزيتونة لاتخاذ الإجراءات الإصلاحية اللازمة، وقد قدّم محمد عبد العزيز بوعتور تقريره الذي أشار فيه إلى حسن الأوضاع في جامع الزيتونة من حيث عدد المفيدين والمستفيدين على الرغم من قلة عدد الطلبة قياسًا للدروس والمدرسين، في حين أشار تقرير الجنرال حسين[١٤٨] إلى قلة الطلبة وغياب نظارة الجامع، وانتقد غياب مادة التفسير والتركيز على مادة النحو، وانتقد أيضًا كثرة المواد التي تدرس والتي سبّبت إرباكًا للمتعلم، وقد لحظ الجنرال حسين صعوبة الإصلاح في يومٍ أو شهرٍ أو سنةٍ، ودعا إلى الشروع بتحسين أوضاع التعليم والسير بها[١٤٩].

لذا أصدر الباي محمد الصادق منشورًا في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٨٧٠ ضاعف فيه رواتب أساتذة جامع الزيتونة وفي ذلك يذكر الثعالبي: "من أجل أنْ نمنح أساتذة المسجد الكبير راتبًا يزيد من حماستهم ويدفعهم إلى إقامة الدليل على دأبهم الضروري لتقدم العلم "[١٥٠] ، وألزم المرسوم تعيين أستاذًا أكبر للجامعة يكلف بالإشراف على سير الدروس[١٥١]، وسلوك القوام على المكتبات وبعث الوزير محمد بوعتور للقيام بتلك المهمة، وكلّف الجنرال حسين للقيام بعمليات تفقدٍ آخر ويرفع التقارير ليبين مواضع الخلل[١٥٢].

وجاءت همة خير الدين منذ تعيينه وزيرًا أكبر للدولة عام ١٨٧٣ على إجراء إصلاحاتٍ تعليميةٍ على جامع الزيتونة، وكذلك إنشاء مدرسةٍ ثانويةٍ على غرار المعاهد الثانوية الأوربية الحديثة. وكان التعليم فيها قائمًا على تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من جهةٍ، وتدريس اللغات الأجنبية من جهةٍ أخرى [١٥٣]. وبعد بضعة أشهرٍ من تسلم خير الدين الوزارة جمع في بيته في حزيران/يونيو ١٨٧٤ لجنةً مكلفةً في آنٍ واحدٍ بإعادة النظر في برامج التعليم بالجامع الأعظم بالزيتونة [١٥٤]، ووضع خطةٍ لنظام التعليم في المكتب الجديد" الذي أطلق عليه اسم المدرسة الصادقية نسبةً إلى الباي محمد الصادق. وقد ضبطت مهام تلك اللجنة بموجب الأمر الصادر من الباي في ١٠ حزيران/ يونيو ١٨٧٤[١٥٥].

وبقيت اللجنة تجتمع في جامع الزيتونة لسنةٍ كلّ اثنين من الأسبوع إلى أنْ أنهت أعمالها في ١٩ تموز/يوليو عام ١٨٧٥ بتحرير قانونٍ ينظّم التعليم في جامع الزيتونة بموجب الأمر

الصادر في ٢٦ كانون الثاني/ يناير عام ١٨٧٥ والذي يحوي (٦٧) فصلاً مجزأً إلى خمسة أبوابٍ(١٥٦). وقد نصّ القانون على أهم المواد وهي (١٥٧):

نصّت المادة الأولى التوسع في مواد التعليم، أي: لا يقتصر على العلوم الدينية والفلسفية وإنّما على الحقوق، والفقه، والأدب، و"القواعد والتجويد وآداب اللغة العربية ولغتها" التاريخ، والجغرافية، والرسم الهندسي، والحساب، والهندسة المعمارية، والفلك، وعلم المساحة(١٥٨). وعلى تنظيم الدراسة في الجامع على ثلاث مراحل: الابتدائية، والثانوية، والعالية، واعفاء الطلاب من الخدمة العسكرية والضرائب أثناء دوامهم، وإعداد سجلٍ مدرسيّ لكلّ طالبٍ(١٥٩).

أما فيما يخصّ مناهج التعليم فذكرت المادة (٢): "يجب على المدرس أنْ يضع نصب عينيه هدف ومنهاج العلم الذي يدرسه" وذكرت المادة (١٦): "إذا لاحظ الأستاذ أنَّ التلاميذ تعبوا يتوقف عن الدرس كي يستأنفه فيما بعد، أما زمن الدرس فلا ينبغي أنْ يكون قصيرًا ولا طويلاً أي لا تقلّ مدّته عن (٤٥) دقيقة ولا تزيد عن ساعةٍ ونصف" ونصّت المادة (٢٤): "وبما أنَّ رأي الأستاذ في التلميذ هو أهم دافعٍ لعمله، كان لزامًا أنْ يوجد لكلّ طالبٍ استمارة يضع فيها الأساتذة آراءهم في ذكائه ثم توضع في تلك الاستمارة الدرجات التي يحصل عليها التلميذ في فحوصه" وهي تشبه وثيقة الدرجات للطلبة في الوقت الحالي، ونصّت المادة (٢٥) على سلسلةٍ من الجوائز التشجيعية في الدراسة إذ ضمّت: " يُعفى كلّ طالبٍ عنده الاستمارة المنوّه عنها في المادة ٢٤ من الضريبة الشخصية ومن الخدمة العسكرية ومن كلّ الواجبات التي يُعفى منها أمثاله في مدّة الدراسة في المسجد الجامع الكبير". وذكرت أنْ تصبح صفة ذلك الإعفاء دائمةً لمَنْ يحمل شهادة تلك الجامعة(١٦٠). وأكد ابن عاشور على إحدى مقررات ذلك القانون حينما قال: "تمّ تعزيز هذا القانون بقوانين أخرى هدفت إلى ترتيب النظارة العلمية وتسمية النظارة العلمية وتسمية مستشار للمعارف ونائبين عنه لمراقبة أحوال التعليم وإجراء التراتيب"(١٦١).

أما فيما يخصّ الامتحانات في الجامع، فقد نصّ القانون على أنْ يخضع الطلاب لفحوصٍ عامةٍ في نهاية السنة الدراسية في مقر الحكومة بدار الباي بحضور موظفٍ حكوميّ(١٦٢).

وخصّصت فقرة بشأن مكتبة الزيتونة(١٦٣)، علمًا أنَّ خير الدين باشا قام بإهداء مكتبةٍ عظيمةٍ جمعت من العديد من المساجد وتبرع بمكتبته الخاصة التي تحوي ألفي مخطوطٍ لمكتبة جامع الزيتونة(١٦٤).

وعلى الرغم من التطور الذي حدث على مستوى المواد التي تدرس في جامع الزيتونة إلا أنّ المواد الحديثة التي أدخلت مع المواد القديمة بقيت اختيارية في التدريس، وأهملت فيما بعد،

إذ بقي الطابع الديني هو الغالب على التعلم في جامع الزيتونة، والذي أبقى المؤسسة الخاصة بمواد الشريعة الإسلامية، وخريجوها يعينون في المناصب التقليدية بالعمل في الوظائف القانونية، مثل: القضاء والعدل، أو العمل في التعليم الديني(١٦٥).

- **المدرسة الصادقية**

تزامنت عناية خير الدين باشا بجامع الزيتونة بإنشاء مدرسةٍ عصريةٍ على غرار المدارس الأوربية الحديثة، وجاءته الفكرة بعد زيارته إلى العديد من الدول الأوربية، ولاسيما فرنسا التي قضى فيها مدة بين عام (١٨٥٢-١٨٥٦)، فوصل إلى قناعةٍ تامةٍ أنَّ تقدّم الشعوب الأوربية يرجع إلى تقدّمها العلمي، لذا شكّلت لجنة عام ١٨٧٤ –السابق ذكرها– للقيام بمهمةٍ مزدوجةٍ لضبط برامج التعليم في جامع الزيتونة والمدرسة الجديدة (المدرسة الصادقية)(١٦٦) لإعداد قانونها الأساس وضبط برامج الدراسة فيها، وكانت اللجنة مؤلفةً من أساتذة جامع الزيتونة ويترأسها خير الدين باشا الذي حرص على إنشاء مدرسةٍ تعليميةٍ دينيةٍ إلى جانب تعليم اللغات الاجنبية والمواد العلمية، لخلق جيلٍ قادرٍ على الوقوف بوجه التوسع الأوربي الذي بات يهدّد البلاد(١٦٧).

لذا وجدناه قد بادر في ١٣ كانون الثاني/يناير ١٨٧٥ إلى إنشاء أول مؤسسةٍ ثقافيةٍ قوميةٍ عصريةٍ، عُرفت بالمدرسة الصادقية على غرار الثانويات الأوربية مع التوفيق بين العلوم والتقاليد الإسلامية والعلوم العصرية، وتعليم اللغات الأجنبية(١٦٨). وقد فتح خير الدين أبواب المدرسة للمسلمين جميعًا في تونس والمدن الكبرى للتعلم فيها(١٦٩).

وتكللت جهود خير الدين باشا بالنجاح بفضل ما قدّمه من دعم ومساندة علماء جامع الزيتونة الذين أقنعهم بأفكاره المتعلقة أنَّ صلاح المجتمع لا يتمّ إلا بالتعلم، واستطاع أنْ يقدّم دليلاً على ذلك من المدرسة الصادقية التي قدّمت لتونس نخبةً من مفكري الإصلاح والنهضة الحديثة.

الخاتمة

نال التعليم في تونس في القرن التاسع عشر اهتمامًا واضحًا من باياتها وأشهر مصلحيها خير الدين باشا التونسي فأنشئت مدارس كان لها دورها التعليمي والثقافي على أبناء تونس.

- الدور الريادي للباي أحمد الذي قام بحركةٍ إصلاحيةٍ شاملةٍ كان الجانب التعليمي أحد أهم تلك الإصلاحات التي نالت اهتمامه ولاسيما ما قدّمه من إصلاحاتٍ لجامع الزيتونة، وإنشاء مدرسةٍ عسكريةٍ جديدةٍ مدرسة باردو التي أنشأها؛ لتخريج ضباطٍ متعلمين تعليمًا مدنيًا وعسكريًا شاملاً علومًا مختلفةً.
- بعث نواةٍ للتعليم العصري الذي كان له أبعادٌ تربويةٌ للنهوض بالتعليم ومواكبة الدول المتقدمة بتدريس التلاميذ موادًا جديدةً من دون تأثيره على موادها الدينية الأساسية.
- ظهر بشكلٍ واضحٍ اقتصار التعليم بتونس في القرن التاسع عشر على الذكور من دون الإناث ويعود ذلك إلى العادات والتقاليد التي كانت لا تسمح للكثير من الفتيات بالخروج من المنزل للتعليم وأنْ يقتصر دورهنَّ على أعمال المنزل، وقد ظهر الشي نفسه في المدارس الأجنبية إذ كانت أغلب المدارس مخصصةً للذكور أكثر من الإناث وللسبب نفسه.
- شجع مصلحي تونس وعلى رأسهم خير الدين باشا بضرورة الاهتمام بالتعليم والنهوض به من خلال العلوم العصرية ولاسيما بعد التراجع الذي أصاب البلاد العربية بشكلٍ عامٍ وتونس بشكلٍ خاصٍ.
- شجعت الإصلاحات التعليمية الكثير من سكان تونس على إرسال ابنائهم للتعليم في تلك المؤسسات التي زوّدت بكلّ ما تحتاجه من مستلزماتٍ دراسيةٍ وعلى أعلى المستويات في تلك المدة شملت الجميع ولم تكن مقتصرةً على فئةٍ معينةٍ.
- على الرغم من عدم استمرار عددٍ من المدارس في تعليمها، ويعود سبب ذلك إلى الظروف السياسية والاقتصادية التي مرّت بها تونس إلا أنَّها كانت خطوةً إيجابيةً عرفت القائمين على الاهتمام أكثر بالجانب التعليمي ووضع برامج إصلاحية أكثر، وذلك ما حصل في عهد محمد الصادق باي.

الهوامش

References

(١) الحبيب الجنحاني، الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية التونسية، العدد ٦١، (تونس، ١٩٦٩)، ص ١١١.

(٢) كان للحضارة التونسية أثرها في كلّ دول المغرب العربي ودول جنوب أوربا أيضًا، لما انمازت به من فنون وشواهد عمرانية التي لا زالت قائمة تثير إعجاب السواح الذين يزورون تونس ويتأملون بقايا حضارة لا تموت. ينظر: عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم: سامي الجندل، دار القدس، ط١، (لبنان، ١٩٧٥)، ص ٥٣.

(٣) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٦) الصحبي بن منصور، الحركة الإصلاحية والتعليم الزيتوني: التأثير وصداه في الصحافة الفرنسية ١٨٤٠-١٩٤٠، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://www.elkalaa.org.

(٧) روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣م إلى نهاية القرن ١٥م، دار الغرب الإسلامي، ط١، (لبنان، ١٩٨٨)، ص ٣٧٥.

(٨) حياة الماجري، من تعليم الصبيان إلى التعليم الابتدائي في مدينة تونس في العهد العثماني، دار نقوش عربية للنشر، (تونس، ٢٠١٤)، ص ٢٩.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(١٠) للمزيد من التفاصيل ينظر: الماجري، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٦.

(١١) علي الزيدي، التعليم بجهة صفاقس قبيل الاستعمار الفرنسي، دار بيرم للنشر والتوزيع، (صفاقس، ٢٠١٧)، ص١٢.

(١٢) الماجري، المصدر السابق، ص ٣٨.

(١٣) خير الدين باشا: هو من بلاد الشركس، يعود بأصله إلى قبيلة أباضية القاطنة في الجنوب الشرقي لجبال القوقاز م مواليد ١٨٢٠، فقد اهله وهو صغير اختطفه فرسان مسلحون وأخذ إلى إسطنبول إذ بيع في سوق العبيد وعند بلوغه سنّ الـ ١٧ بيع مرةً ثانيةً فاشتراه أحد أعيان تونس الذي أهداه إلى أحمد باي في عام ١٨٣٨، وأثبت جدارةً في تعلم الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ وتعلمه اللغة الفرنسية، وتولى عدّة مناصب فقد أصبح رئيس المجلس الأكبر عام ١٨٦١ عُين رئيسًا للجنة الدولية نصب وزيرًا للبحر في عام ١٨٥٧ الكومسيون المالي في عام ١٨٦٩، أصبح الوزير الأكبر في البلاد التونسية في المدة ١٨٧٣ -١٨٧٧، ثم أصبح صدرًا اعظم بعد استدعاء السلطان عبد الحميد له في عام ١٨٧٨ - ١٨٧٩، توفي في استانبول عام ١٨٩٠، للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ١٤٧-١٤٨؛ سمير أبو حمدان، خير الدين التونسي أبو النهضة، دار

الكتاب العالمي، (لبنان، ١٩٩٢)، ص ١١ –١٤؛ حسين جبار إبراهيم، خير الدين التونسي ودوره الإصلاحي وتأثيره الفكري ١٨٣٩– ١٨٩، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ٢٠١٢/، ص٦– ٢٥).

(١٤) الماجري، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٥) الزيدي، المصدر السابق ، ص١٤.

(١٦) الزيدي، المصدر نفسه، ص ١٢.

(١٧) الزيدي، المصدر السابق، ص ١٤.

(١٨) الماجري، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٩) محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تحقيق: علي بن الطاهر الشزقي، رياض المزروقي، وعبد الحفيظ منصور، بيت الحكمة، ج٢، (تونس، ١٩٩٩)، ص١٢.

(٢٠) نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لأفريقية في العهد الحفضي، دار الفارابي، ط ١، (تونس، ٢٠٠١)، ص ٢٣٨– ٢٣٩.

(٢١) محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٢٨٥.

(٢٢) زاوية تونسية واقعة في نهج محرز بن خلف وتحمل اسم الولي الصالح محرز بن خلف الملقب بسلطان المدينة، كان ورعًا مشهورًا بكرمه وتقاه. وهي معلم وطني. ينظر الموقع: https//ar.m.wikipedia.org.

(٢٣) أبو عثمان بن محمد المنصور، على الموقع: http://m.arefa.org.

(٢٤) محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط٢، الشركة التونسية للفنون والنشر، (تونس، ١٩٨٨)، ص٨٩–٨٨.

(٢٥) الماجري، المصدر السابق، ص ٥٣؛ الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تقديم وتحقيق: محمد أنور بو سنينة، (الدار التونسية، ١٩٨١)، ص ٤٨.

(٢٦) للاستزادة عن المدرسة الباشية، مقال منشور على الموقع التالي : http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8.

(٢٧) المذهب المالكي: يعدّ المذهب المالكي في أقطار المغرب العربي منذ قرون مذهب الدولة الرسمي ، الذي وضعه اما زدار الهجرة مالك ابن أنس إمام المسجد الأكبر بالمدينة المنورة في القرن التاسع للميلاد / الثاني للهجرة ، أهم أفكاره الاهتمام بعمل أهل المدينة . للاستزادة ينظر: محمد المختار محمد المامي، المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته) ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، (الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٢) ، ص٢٩ وما بعدها.

(٢٨) الماجري، المصدر السابق، ص ٥٣؛ المدرسة العاشورية، بوابة مدينة تونس على الموقع: http://www.commune-tunis.gov.tn.

(٢٩) الماجري، المصدر السابق، ص ٥٣؛ أبو نهى، المدرسة العاشورية، بناها علي باشا الأول على أنقاض أقدم مدارس مدينة تونس، صحيفة الشرق، ١٨ /٢٠٠٥/٦، على الموقع: https://www.turess.com

(٣٠) الماجري، المصدر السابق، ص٥٣.

(٣١) للمزيد من التفاصيل ينظر: الماجري، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٧.

(٣٢) المختار العياشي، أهمية البنية التّحتية المدرسيّة في تونس قبل الاستقلال، مقال منشور على الموقع الآتي: .http://akroutbouhouch.blogspot.com/2019/10/blog-post_28.html

(٣٣) الإمام ، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.

(٣٥) جامع الزيتونة: يعدّ من أقدم المعاهد في دول المغرب العربي، بناه حسان بن نعمان سنة ٧٩هـ، وأكمل عبد الله بن الحبحاب بناءه سنة ١١٤هـ حينما كان واليًا على مصر، وتونس، والاندلس، أسس لغرض تعليم ابناء المسلمين كلّ ما يخصّ أمور دينهم فضلاً عن تعليمهم علومًا أخرى ويعدّ جامع الزيتونة من أقدم الجامعات في العالم الإسلامي وله مكانة علمية مهمة في نشر العلم والثقافة، واستمرَ يؤدي دوره ثلاثة عشر قرنًا من دون انقطاع. البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١- ١٩٢٤، دار بو= =سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (تونس، ١٩٨١)، ص ١٣٧؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد العزيز بن عاشور، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سيراس للنشر، (تونس، ١٩٩١)؛ أحمد السوالم، إصلاح التعليم بتونس خلال القرن التاسع عشر، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، العدد ٤، المجلد ٢، (ليبيا، ٢٠٢٠)، ص ١٣٢.

(٣٦) نقلا عن: أحمد السوالم التعليم الديني العتيق بتونس والمغرب خلال الحماية الفرنسية، مقال نشر في ٢٥/٨/٢٠١٦، على الموقع http://www.alnoor.se/article.asp?id=3O6564 . علمًا أنَّ أبا القاسم كرو كان له رأيٌ آخر في وصف المتعلمين في جامع الزيتونة قائلاً: إنَّ الزيتوني لا يصلح أكثر من التعليم في الزيتونة أو في المدارس الابتدائية... وفي المناصب الدينية التي لها علاقة بالدين كأنْ يكون إمامًا أو قاضيًا أو عدلاً...إما أنْ يكون طبيبًا أو مهندسًا أو كاتب حساباتٍ في بنكٍ أو رئيس مصلحةٍ فنيةٍ أو موظفًا فيها أو أنْ يدير مصنعًا أو مؤسسة اقتصادية فلا والسبب في ذلك هو أنَّ مؤهلاته التعليمية الزيتونية لا تساعده في ذلك. ينظر: أبو القاسم محمد كرو، التعليم التونسي بين الحاضر والمستقبل، المدونة البيداغوجية، محاضرة ألقيت عام ١٩٥٥ متاحة على الموقع: - ..post.html blog/2016/04/http://akroutbouhouch.blogspot.com

(٣٧) بن الخوجة، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣٨) السوالم، التعليم الديني العتيق.

(٣٩) بو فلجة حمادي ومحمد عبلاوي، تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس (١٨٨١-١٩٥٦)، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية ادرار، (الجزائر، ٢٠٢٠)، ص ٢٨.

(٤٠) محمود بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ط ١، المطبعة الإعلامية، (مصر، ١٣٠٢ف)، ج٢، ص ١٢٥؛ السوالم، التعليم الديني العتيق.

(٤١) مصطفى نبيل، جامع الزيتونة وريح التغيير في تونس، مجلة العربي، العدد ٢٧٦، (الكويت، ١٩٨١)، ص ٨٣.

(٤٢) السوالم، التعليم الديني العتيق.

(٤٣) أحمد باي: عاشر بايات تونس ابن مصطفى باي، ولد في ٢ كانون الأول عام ١٨٠٦، عاش في قصر باردو وتعلم عدّة لغاتٍ، كان قائدًا للجيش في عهد والده، وحينما تولى حكم تونس عام ١٨٣٧ قام بعدّة إصلاحاتٍ عسكريةٍ، وسياسيةٍ، وإداريةٍ، كان يهدف إلى الاستقلال بشكلٍ نهائيّ عن الدولة العثمانية، إلا أنَّ الأزمة المالية التي عصفت بالبلاد عام ١٨٥٢ قضت على أحلامه ومشروعاته، توفي في آيار عام ١٨٥٥. للاستزادة ينظر: أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، من وزارة الشؤون الثقافية، دار العربية للكتاب، ج٤، (تونس، ١٩٩٩)، ص ١١ وما بعدها؛ تحقيق لجنة معاد إبراهيم محمد الجعفري، الأوضاع السياسية والاقتصادية في تونس ١٨٣٧ –١٨٧٠، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (جامعة تكريت، ٢٠٢٠)، ص ٤٢.

(٤٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: الجعفري، المصدر السابق، ص ٧٦– ١١٤.

(٤٥) المذهب الحنفي: أكثر المذاهب الأربعة انتشارًا وسمّي بالحنفي؛ نسبةً إلى الإمام أبي حنيفة النعمان منشئ المذهب مدينة الكوفة في العراق. للاستزادة ينظر: أحمد بن محمد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي (مراحله وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته)، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع (السعودية، ٢٠٠١)، ص٤٧ وما بعدها.

(٤٦) انماز سكان تونس من أصحاب المذهب الحنفي بامتيازاتٍ تفوق أصحاب المذهب المالكي منذ الفتح العثماني للبلاد ١٥٧٤، فقد كان علماء الحنفية وهم من الأتراك العثمانيين والبلقان مفضلون على علماء المالكية، فضلاً عن أنَّ علماء الحنفية يتقاضون راتبًا أعلى من علماء المالكية على أساس أنَّ علماء الحنفية مسجلون= =في دفاتر الجند العثماني. ينظر: رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان، ط١، دار سحنون للنشر، (تونس، ٢٠١٠)، ص ٢٠٨.

(٤٧) الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٤؛ أحمد الطويلي، حمودة باشا، وأحمد باي، بناة الدولة التونسية الحديثة، المغربية للطباعة، ط١، تونس، ٢٠١٩، ص٩٤.

(٤٨) بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ٩٣.

(٤٩) بن منصور، المصدر السابق.

(٥٠) التونسي، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ أحمد عبد السلام، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، ١٩٨٧)، ص ٦٨؛ حسين جيار إبراهيم، إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠١٧)، ص ١٣٥.

(٥١) سوالم، التعليم الديني العتيق.

(٥٢) التونسي، المصدر السابق، ص ١٢٦؛ إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٥٣) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٧.

(٥٤) المصدر نفسه.

(٥٥) عبد السلام، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥٦) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٦؛ إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ الطويلي، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٥٧) عبد السلام، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥٨) إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ الطويلي، المصدر السابق، ص ٩٤..

(٥٩) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٧؛ الحداد المصدر السابق، ص ٥٠-٥١.

(٦٠) بن خوجة، المصدر السابق، ص ٢٩٣ – ٢٩٤. لقد أراد أحمد باي تحويل جامع الزيتونة إلى جامعة حديثة بالعلوم التي يدرس فيها، وإعطاء كلّ من تلك العلوم مكانتها في الجامعة، ولاسيما بعد إدخال الطب، والهندسة الزراعية، والعلوم الدقيقة، وتخصصاتٍ أخرى في مناهج جامع الزيتونة.

Noureddine Sraieb, L'ecole laique francasie en Tunisie (1881-1914): la double utopie, presses universitaires du midi, 2000, p. 12.

(٦١) بن خوجة، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٦٢) ابن خوجة، المصدر السابق، ص ٢٩٣- ٢٩٤.

(٦٣) بن منصور، المصدر السابق.

(٦٤) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٧؛ إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٦٥) إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٦٦) إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٦٧) مديحة مشرفية، أولى المدارس الفرنسية بالإيالة التونسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٠-١٨٥٥)، (تونس، ٢٠٠٩)، ص ٥٢.

(٦٨) الأب بورقاد: مبشر نصراني فرنسي ولد في عام ١٨٠٦ في منطقة قوجون الفرنسية، أصبح قسًا عام ١٨٣٢ ثم عُين مساعد أسفن في الكنيسة عام ١٨٣٦، ترك فرنسا عام ١٨٣٨ باتجاه الجزائر واهبًا نفسه لنشر تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ثم انتقل في عام ١٨٤١ إلى تونس ليقوم بفتح عدّة مدارس للاستزادة عن ذلك ينظر: حميدة حمايدي العياري، التبشير والتعلم في تونس مشروع الأب بورقاد ١٨٠٦-١٨٦٨، الشركة التونسية للنشر، (تونس، ٢٠١٨)، ص٢٤ وما بعدها؛

Cutron, La'bbe' Bourgade (1806-1866), carthage et l'orient de l'antiquaire au pupliciste, Anabaese 2, 2005, p177-191; François Amoulet, L'enseignement congréganiste en Tunisie aux XIXe et XXe siècles, Revue du monde musulman et maîtres et ingénieurs. Algerie, p. 26-36; de la Méditerranée, de la Méditerranée, n'72, 1994. Modernités arabes et turque:.

(٦٩) الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٢؛

Sraeb, op, cit, P12 .

(٧٠) كريسبي فرانسسكو: رئيس وزراء إيطاليا للمدة ١٨١٨-١٩٠٦ للمزيد عن سيرة حياته ينظر: الموقع على الرابط . L'enseignement public dans la régence de Tunis /. Source gallica.bnf.fr

(٧١) الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٧٢) تذكر إحدى المصادر أنَّ تأسيس هذه المدرسة كان في عام ١٨٥٤ وهي خاصةٌ بالذكور، ينظر: حماوي وعبلاوي، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٧٣) جان قانياج، أصول الحماية الفرنسية على تونس (١٨٦١-١٨٨١)، ترجمة: عادل بن يوسف ومحمد محسن البواب، مراجعة: أحمد خالد، تقديم: محمد عامر عزيزة، البرق للنشر والتوزيع، (تونس، ٢٠١٢)، ص ١٦٦.

(٧٤) أسسها بورقاد عام ١٨٤٥ معهد سان لوي وفي عام ١٨٨٢ باسم سان شارل واستمرت حتى عام ١٨٨٩ حين وقعت تسميته بالصادقي نسبةً إلى محمد الصادق باي، وفي عام ١٨٩٣ تمّ تسميتها بسادي كارنو؛ تكريمًا للرئيس الفرنسي وأخيرًا أصبحت معهد بورقيدة النموذجي، للاستزادة عن مدرسة سان لوي، ينظر: مشرفية المصدر السابق، ص١٢٢ وما بعدها؛

M.L. Machue, L'enseignement public dans la régence de Tunis /. Source gallica.bnf/Bibiothéque nationale de France. P.2

(٧٥) الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٧٦) الإمام، المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٧٧) إبراهيم، المصدر السابق، ١٣٦.

(٧٨) الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة (تونس، د.ت، ص١٨)

(٧٩) جمعية نسائية دينية تبشيرية كاثوليكية، أسستها آن مارغريت أولاد أميل دفيلا، (١٧٩٧-١٨٥٦) باسم أخوات القديس يوسف للظهور عام ١٨٣٢ في منطقة جياك بفرنسا، كان هدف الجمعية أساسًا رعاية المرضى وخدمة الفقراء والتعليم الديني ليصبحوا نصارى كاثوليك وقد تمكنت دفيلار من تحقيق ذلك وبجهودها الشخصية في بدء الأمر ولاسيما بعد أنْ ورثت من جدها أموالاً طائلةً، والذي ساعد في انتشار عدّة أفرعٍ للجمعية في أغلب أنحاء العالم تؤدي مهامها التبشيرية، للمزيد من التفاصيل، ينظر: العياري، المصدر السابق، ص١٤٠ -١٤١؛

Abidalrazak bennour, Aperçu sur l'enseignement du français en Tunisie, de 1830 à 1883, 1 December 2001, p. 32, https://journals.openedition.org/dhfles/2604, p. 31; Saraeb, op.,cit., p. 3.

(٨٠) حميدة حمايدي عياري، المشروع التبشيري الكاثوليكي الفرنسي في الجزائر وتونس في القرن التاسع عشر: أخوات القديس يوسف وفراسوا بوغارد أنموذجًا، مجلة الملتقى، العدد (٣٧) ، (تونس، ٢٠١٦م)، ص١٤٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(٨٢) حيٌّ من أحياء مدينة تونس القديمة سكنه العديد من العائلات الإيطالية والأوربية إلى جانب المسلمين من أهل البلاد، مشرفية، المصدر السابق، ٦٥؛ Machuel, op. Cit. P 3

(٨٣) العياري، المصدر السابق، ص١٤٦ ؛ bennour,op,cit,p32

(٨٤) مشرفية، المصدر السابق، ص٦٥، Amaulet,op.cit,p27; Machuel,op.cit,p3.

(٨٥) مشرفية، المصدر السابق، ص٦٥؛ الإمام، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٨٦) للمزيد من التفاصيل، ينظر: مشرفية، المصدر السابق، ص٦٦ -٦٧.

(٨٧) وأصبحت المدرسة رسميةً في عام ١٨٨٦ تحت إدارة التعليم العمومي الفرنسي، وقد استمرت المدرسة حتى عام ١٨٩٩، مشرفية، المصدر السابق، ص٦٨.

(٨٨) مشرفية، المصدر السابق، ص٧٧.

(٨٩) العياري، المشروع التبشيري الكاثوليكي، ص١٤٥.

(٩٠) الإمام، المصدر السابق، ص١٧٣؛ إبراهيم، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٩١) العياري، المشروع التبشيري الكاثوليكي ، ص٦٩ ؛ حميدة حمايدي العياري ، التبشير والتعليم في تونس مشروع الأب فرانسوا بورقاد (١٨٠٦ –١٨٦٨) الشركة التونسية للنشر، (تونس، ٢٠١٨) ، ص٢٥.

(٩٢) مشرفية، المصدر السابق، ص١٢٢–١٢٤.

(٩٣) الإمام، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٩٤) مشرفية، المصدر السابق، ص١٢٦.

(٩٥) الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(96) Arnouael,op.cit,p.27.

(٩٧) مشرفية، المصدر السابق، ص٨٨.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٨٨.

(٩٩) الإمام، المصدر السابق، ص١٧٤.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص١٧٥.

(١٠١) مشرفية، المصدر السابق، ص١٣١؛

Arnouael, op. cit., p.27.

(١٠٢) مشرفية، المصدر نفسه ، ص١٣٦.

(١٠٣) مشرفية، المصدر السابق، ص١٣٦.

(104) Arnouael,op. cit., p.27.

(١٠٥) يكون عدد التلميذات (١٤) وليس (١٥) ينظر: الإمام، المصدر السابق، ص١٧٥، من حيث تذكر الباحثة مشرفية أنَّ عدد التلميذات (١٣) (١) مالطية وليست فرنسية و(١٨) إيطالية (٤) يهودية، مشرفية، المصدر السابق، ص١٤١، وهو الرأي الصواب.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص١٤٢ –١٤٣.

(١٠٧) سميت بجمعية الشباب للدعوة إلى نشر الإيمان في البلدان التبشيرية والتي تأسست في مدينة ليون الفرنسية عام ١٨٢٢. ينظر:

Pierre Soumille, Des catholiques en Tunisie. Une longue histoire de conflits, de négociations, d'incompréhension (13e siècle -1958), 2017, Histoire, monde et cultures religieuses (ISSN 2267-7313)., P. 8.

(١٠٨) الإمام، المصدر السابق، ص١٧٦.

(١٠٩) الهادي التيمومي، تونس والتحديث أول دستور في العالم الإسلامي، ط١، دار محمد علي للنشر، (تونس، ٢٠١٠)، ص ٧٧.

(١١٠) لويس كاليغاريس: ضابطٌ إيطاليٌّ أصله من مدينة توران، عمل بالجيش العثماني، ثم انتقل إلى تونس في أواخر مدة حسين باي الثاني، عيّن مديرًا للمدرسة الحربية برتبة عقيدٍ حتى عام ١٨٥٠ إذ غادرها ليتفرغ

لدراسة اللغة العربية التي أصبح أستاذًا لتدريسها في جامعة تورنتو عام ١٨٦٣، توفي عام ١٨٧١. الجعفري، المصدر السابق، ص ٨٨؛ حياة الماجري، مؤسسة التعليم في تونس في القرن التاسع عشر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (تونس، ٢٠١١)، ص ١٦٠؛ التيمومي، تونس والتحديث، ص ٧٧-٧٨.

(١١١) أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ط ٢، الدار العربية للكتاب، (تونس، ٢٠٠٤)، ج٢، ص ٤١.

(١١٢) بن خوجة، المصدر السابق، ص ٤٣٣؛ الماجري، المصدر السابق، ص ١٥١.

(١١٣) عبد السلام، المصدر السابق، ص ٩.

(١١٤) الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري في تونس ١٨٣٧ -١٩١٧، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، (تونس، ٢٠٠٣)، ص ٢٤ – ٢٥؛ الجعفري، المصدر السابق، ص ٩٦

(١١٥) محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والعسكرية في تونس، مطبعة دار الهنا، (مصر، ١٩٥٦)، ص ١٣؛ الجنحاني، المصدر السابق، ص ١١٩؛ الإمام، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(١١٦) حسن حسين عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص ١٦٦؛ الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(١١٧) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١١٩.

(١١٨) الإمام، المصدر السابق، ص ١٦٩؛ أحمد بن عامر، تونس عبر التاريخ من أقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، مكتبة النجاح، (تونس، ١٩٦٠)، ص ٢٧٧

(١١٩) المحجوبي، المصدر السابق، ص ٨٦.

(١٢٠) سان سير: منطقة بالقرب من قصر فرساي بضواحي باريس، أسس فيها الملك لويس الرابع عشر (٥ أيلول ١٦٣٨ – ١ أيلول ١٧١٥م) عام ١٦٨٠ مدرسة مجانية ضمّت ما يقرب من (٢٥٠) تلميذة من العوائل الثرية، وعندما قامت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ أغلقت المدرسة. وفي عام ١٨٠٢ أنشأ نابليون بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١) مكانها المدرسة العسكرية وهي للتعليم العالي العسكري لتخريج ضباط الجيش البري وبعض ضباط الشرفة الوطنية. مدرسة سان سير العسكرية الفرنسية للتعليم العالي العسكري مقال متاح على الموقع: https://medicante.blogspot.com.

(١٢١) المدرسة الحربية العثمانية: أسست في عام ١٨٣٤ باسم أكاديمية الجيش العثماني، وكان مقرها استانبول، ثم نقل مقرها بعد عام ١٩٢٣ إلى أنقرة. ينظر: ويكيبيديا: hppts://ar.m.wikipedia.org.

(١٢٢) اسكي سراي: تعني القصر القديم بالتركية العثمانية، قصر شيّده السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ -١٤٨١) بعد فتح استانبول، غادره السلطان بعد تشييده قصر طوب قابي، فأصبح القصر القديم مكان إقامة والدات وزوجات السلاطين المتوفين. ينظر: القصر القديم على الموقع: hppts://zins-ar.kiweix.campusafrica.gosorang.com.

(١٢٣) الإمام، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(١٢٤) ابن عامر، المصدر السابق، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(١٢٥) الجمهورية التونسية، وزارة الدفاع الوطني، أعمال ندوة تاريخ التحصينات، البلاد التونسية ٤ و٥ و٦ تشرين الأول، ادرة العمل الاجتماعي والثقافي، (تونس، ٢٠٠١)، ص١٥٥-١٥٦.

(١٢٦) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٧٦؛ عبد الوهاب، المصدر السابق، ص ١٦٦-١٦٧؛ الإمام، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(١٢٧) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١١٩.

(١٢٨) محمود قبادو: أحد رجال الإصلاح في تونس، وهو من أصولٍ أندلسيةٍ نزحت إلى مدينة صفاقس التي ولد فيها عام ١٨١٢، تعلم قراءة القرآن الكريم على يد محمد المدني صاحب الطريقة المدنية، إذ كان محبًا للصوفية، كان أحد أساتذة جامع الزيتونة، وعيّن بالمدرسة الحربية، وهو أحد رواد الحركة الإصلاحية التي تدعو إلى الانفتاح على الغرب والأخذ من ثقافتها وعلومها. عيّن قاضيًا عام ١٨٦١ وفقيهًا مالكيًا في العام نفسه، توفي عام ١٨٧١. محمود المولى، مدرسة باردو، الدار العربية للكتاب، (تونس، ١٩٧٧)، ص ٢١؛ الجعفري، المصدر السابق، ص ٩٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: بن عاشور، الحركة الأدبية، ص ١٤-١٦.

(١٢٩) الإمام، المصدر السابق، ص ١٨٠ ؛ الجعفري، المصدر السابق، ص ٨٩.

(١٣٠) بن عاشور، الحركة الأدبية، ص ١٣.

(١٣١) الجعفري، المصدر السابق، ص ٨٩.

(١٣٢) للاستزادة عن ذلك ينظر: بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري، ص ٢٤-٢٨.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(١٣٤) الجعفري، المصدر السابق، ص ٩٠.

(١٣٥) بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٣.

(١٣٦) عبد المولى، المصدر السابق، ص ١٨-٠ ٢؛ الماجري، المصدر السابق، ص ١٨١.

(١٣٧) عبد المولى، المصدر السابق، ص ١٨-٢٠.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٢١؛ الجعفري، المصدر السابق، ص٩٢.

(139) Khalifa Chte, Dependence Et Mutation Precoloniales, La Regence De Tunis De 1815-1857, Tunis, 1914, p. 510.

(١٤٠) بنبلغيث، أضواء على التاريخ، ص ٢٩؛ الجعفري، المصر السابق، ص ٩٢.

(١٤١) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٦-٥٧.

(١٤٢) إبراهيم، المصدر السابق، ص٩٠.

(١٤٣) التيمومي، المصدر السابق، ص ٨٣-٨٤.

(١٤٤) علي بن غذاهم: هو من أولاد مساحل التابعين لقبيلة ماجد، ولد عام ١٨١٤، تلقى تعليمه في جامع الزيتونة، تولى وظيفة في القضاء، وكان صاحب الطريقة التيجانية، أعلنته القبائل قائدًا للثورة على الباي ورجاله؛ بسبب مضاعفة ضريبة الإعانة عام ١٨٦٤، وقد لقّب بقائد الشعب، ألقي القبض عليه عام

١٨٦٧، توفي في منطقة حلق الوادي. للمزيد من التفاصيل عن الثورة ينظر: جان قانياج، ثورة علي بن غذاهم ١٨٦٤، ترجمة: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، (تونس، ١٩٦٥).

(١٤٥) نصيرة نواصر و صالح بوسليم، "دور التجربة الإصلاحية التونسية في التغلغل الفرنسي من فرض الحماية (١٨٨١)"، مجلة البحوث التأريخية، المجلد ٥، العدد ١، (الجزائر، ٢٠٢١)، ص ١٦٥.

(١٤٦) للاستزادة ينظر: راوية غرابي وآخرون، الأزمة المالية التونسية وتأثيرها على سيادة تونس خلالاً للنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف– المسيلة، (الجزائر، ٢٠١٥)، ص ٢٢ وما بعدها؛ الجعفري، المصدر السابق، ص ٣٣٠ وما بعدها.

(١٤٧) الطويلي، المصدر السابق، ص ٩٤.

(١٤٨) الجنرال حسين: مملوك من أصلٍ شركسي وصهر مصطفى خزندار تلميذ بالمدرسة العسكرية التونسية، رافق خير الدين في زيارته إلى باريس من عام ١٨٥٣ إلى ١٨٥٦، تولى عدّة مناصب في تونس، كان أهم تلك المناصب توليه وزيرًا للتعليم العمومي والأشغال العامة في عام ١٨٧٤ وهي التي احتفظ بها إلى غاية وقوع الحماية الفرنسية عام ١٨٨١، توفي في فلورنسا عام ١٨٨٧. قانياج، أصول الحماية، ص ٨٢.

(١٤٩) الطويلي، المصدر السابق، ص ٩٥–٩٦.

(١٥٠) الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٤.

(١٥١) الثعالبي، المصدر السابق، ٥٤.

(١٥٢) العقاب، المصدر السابق، ص ٧.

(١٥٣) حمادي الساحلي، العلاقة بين جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، العدد ٥، تونس، ١٩٩٧، ص١٠.

(١٥٤) الحداد، المصدر السابق، ص ٢٠–٢١.

(١٥٥) الساحلي، المصدر السابق، ص ١١.

(١٥٦) فان كريكن، خير الدين والبلاد الفرنسية ١٨٥٠ – ١٨٨١، ترجمة: البشير سلامة، دار سحنون، (تونس، ١٩٨٨)، ص ٢٠٢–٢٠٣.

(١٥٧) الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٤–٥٥؛ العقاب، المصدر السابق، ص ٧.

(١٥٨) الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٥؛

Sraiëb, op. cit., p. 13

(159) Sraiëb, op. cit , p. 13.

(١٦٠) الثعالبي، المصدر نفسه؛ للتفاصيل ينظر: كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(١٦١) بن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم ، ص ٩٥–٩٦.

(١٦٢) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(١٦٣) كريكن، المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

(١٦٤) السوالم، التعليم الديني العتيق، متاح على الموقع: https://www.alnoor.se.

(١٦٥) المصدر نفسه.

(١٦٦) هناك بحث قيد النشر للباحث بعنوان "المدرسة الصادقية في تونس دراسة في النشأة والتحول ١٨٧٥-١٩٠٦".

(١٦٧) الشريف، المصدر السابق، ص١٠٨. للاستزادة ينظر: الساحلي، جامع الزيتونة...، ص١٠-١١.

(١٦٨) حماد الساحلي، "العلاقة بين جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية"، المجلة الصادقية، العدد ٥، تونس، ١٩٩٧.

(١٦٩) الطويلي، المصدر السابق، ص ٩٦؛ الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٢٩.